



بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية
(280-296هـ/893-909م)

محمد بن عربة

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

benarbamohamed.alfatih@yahoo.com

تاريخ النشر: 2018/09/30

تاريخ القبول: 2018/09/01

تاريخ الإيداع: 2018/08/10

الملخص:

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على أحد أهم حلقات الصراع المذهبي الذي عاشته بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الأولى بعد الفتح، ويرتبط موضوعها ارتباطا وثيقا بتسرب "الدعوة الشيعية ذات النحلة الإسماعيلية"، حيث شكل هذا الحدث دافعا لاندلاع وتأجيج تحولات سياسية وصراعات مذهبية انتهت في الأخير بقيام وتوسع الخلافة الفاطمية عام 296هـ/909م، وقد لعب المجال الكتامي دورا كبيرا في تلك التحولات بسبب الموقع الجغرافي الذي شغله، والثقل الديمغرافي الذي استوطنه، وبيئته المميزة والتي جعلت منه هدفا للدعوة ومقصدا للدعاة.

الكلمات الدالة:

بلاد كتامة ؛ الإمارة الأغلبية ؛ الجماعة الإسماعيلية ؛ الحركة المذهبية ؛ العرب ؛ البربر

Abstract:

This study attempts to focus one of the most portant episodes of the sectarian conflict that the islamic Maghreb experienced during the conquest, Its theme is closely related to the infiltration of the Ismaili shiism, where this event has been an impetus for the outbreak of sectarian conflicts and the establishment of political transformation, The latter ended with the establishment of the fatimid caliphate in 296 Ah/909AD, the field of kutama played a major role in these transformations because of its geographical location it occupied and the demographic weight that it had settled and its envirenment, which made it a target for advocacy and preachers .

Key Word:

Kutama - Emirate The Aghlabid -The Ismaili Community - The sectarian -movement- The Arabs- Berbers



يعد مجال كتامة من بين أهم المجالات الحيوية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وقد لقب هذا المجال ببلاد كتامة كتعميم على أحد أكبر القبائل التي استوطنته وهي قبيلة كتامة¹ والتي كانت تعرف في الفترة التي سبقت الفتوحات الإسلامية للمنطقة ب(Ucutumani) أو (Ucutammi)، وهذا بناء على النقيشة اللاتينية التي عثر عليها في منطقة فيدولاس بين كل من ميلة وجيجل²، غير أن الملاحظ على هذا المجال أنه لم يكن مقتصرًا على هذه القبيلة لوحدها (كتامة) فحسب، وإنما تواجدت وتشاركت معها فيه قبائل أخرى كانت أكثر تواجداً، وحتى أعظم دوراً سواء في الفترة القديمة أو الفترة الوسيطة.

أولاً: المجال الكتامي - الخصائص والمميزات-

أ: كتامة الجغرافية

إن مسألة التحديد الجغرافي للمجال الكتامي هي من بين المسائل التي اختلفت فيها المصادر سواء التاريخية أو حتى الجغرافية، المتقدمة منها والمتأخرة، وذلك بسبب الظروف التي عرفها هذا المجال والتحولت الكبيرة التي طرأت على قبائله وهو أمر شائع في الفترة الوسيطة ولعل من بين تلك التحولات:

- مسألة التداخل بين المجالات بسبب الاشتراك في نفس التركيبات السكانية.
- الهجرة خاصة القسرية منها والتي كانت تعقب كل حرب.
- الهجرة الجماعية لقبيلة كتامة سواء تلك التي حدثت سنة 296هـ/909م وهذا في إطار دخول أكبر بطونهم للقيروان ثم المهديّة ومجاورة الحكام الفاطميين كقادة وخدم وجنود³.
- الهجرة الجماعية نحو مصر، وهذا بعد فتحها من طرف جوهر الصقلي وانتقالهم إليها مرافقين الخليفة الرابع الفاطمي المعز لدين الله 358-362هـ/968-973م⁴.
- ظاهرة تكتّم عناصر وأفخاذ القبيلة عن نسبهم وهذا بسبب ما رأوه نقيصة وشنوداً في أسلافهم الذين كانوا كانوا عونا ونصرا للشيعّة الإسماعيلية إبان دعوتهم وتأسيسهم للخلافة الفاطمية، وصراعهم واشتداد عدائهم للسنّة المالكية والخوارج الإباضية وعن هذا قال عبد الرحمان ابن خلدون: "وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع مند أربعمئة



سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة، وعداوة الدول بعدهم، فيتفادون بالانتساب إليهم...⁵.

- فقدان الكتابات التاريخية التي كتبت من طرف أبناء القبيلة أو حتى تلك التي تناولت قبائل أخرى سكنت مجالاتها والتي كان من شأنها أن تزيج الكثير من الغموض حول مجال وتاريخ هذه القبيلة من بينها مؤلف "سيرة كتامة" لصاحبه حيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي.

لكن إذا ما ركزنا على معطيات توزيع القبيلة وبطونها على الرقعة الجغرافية فيمكننا تحديد هذا المجال في أقصاه من جهته الغربية من حدود بجاية وينحدر بمحاذاة مضارب قبيلة عجيسة وزواوة بجبال البابور في أقصى حدود سطيف، ودار الهجرة تازروت⁶ تقع ضمن هذا الحد، وتمتد شرقا عبر الساحل إلى أن "تجاوز أرض القل وبونة"⁷، ويضم العديد من المدن والموانئ نذكر منها: جيجل، مرسى قلعة خطاب، دنهاجة، سكيكدة أو إسكيدة، القل أما في جهته الجنوبية فقد كان يمتد إلى غاية سفوح جبال الأوراس⁸؛ وطالما كان المجال مختلطاً ومتداخلاً مع مجال الزاب وهذا بسبب:

- التبعية السياسية.
 - القرب الجغرافي.
 - التركيبة الاجتماعية المشتركة.
- وقد ضم في عمقه المدن والحوضر التالية: إيكجان، تازروت، ميلة، سطيف، قسنطينة، تيفاش، قالمة...

كما تميز هذا المجال طوال الفترة الوسيطة وحتى الحديثة بأنه أحصن وأمنع المناطق في بلاد المغرب وهذا ما جعله منه منذ عصر الولاة⁹ وما بعدها "ملجأ آمن للثوار المنهزمين ضد السلطة الحاكمة في القيروان"¹⁰؛ كما أن هذه الخاصية (المنعة والحصانة) هي التي سهلت من مهمة تسرب الدعوات المذهبية المشرقية كالإسماعيلية¹¹ التي انتقلت منتصف القرن 3هـ/9 في مرحلتها الأولى على يد كلا من أبا سفيان والحلواني¹²، أو حتى الإباضية فقد ذكر القاضي



النعمان على وجود أحد فروع قبيلة كتامة وهم بنو عفنية من مسالمة والذين " كانوا يذهبون إلى مذهب الإباضية قديما، ليس في جميع كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم..."¹³.

ب: كتامة القبيلة

كانت قبيلة كتامة من أكثر القبائل التي شغلت حيزا جغرافيا كبيرا من أرض المغرب الأوسط، والذي امتد في أقصاه من بونة شرقا إلى حدود بجاية غربا، وقد ذكر النسابة والمؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون بأن هذا " القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطوعهم باعا في الملك..."¹⁴ أما عن تعداد هذه القبيلة وعلاقتها بمن جاورها فإنها كانت " أكثر عددا ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة"¹⁵ وقد ظلت هذه القبيلة في مختلف أطوار وجود الحركة الإسماعيلية في البيئة المغربية وحتى المشرقية بعد سنة 362هـ/973م مدافعة عن الدعوة والخليفة، وقد كان أفراد هذه القبيلة يشغلون عديد الوظائف من: دعوة، وقضاء، وسفارة، وقيادة العسكر، وإدارة الأقاليم والكور، وكانت هذه القبيلة حسب النسابة عبد الرحمان ابن خلدون تنقسم إلى قسمين:

يسودة: وتتفرع منه البطون التالية: فلاسة، دنهاجة، متوسة، ووريسن.

غرسن: وتتفرع منه البطون التالية: مصالة- قلان- ماوطن- معا- لهيصة- جيملة- مسالمة- بنو يناوة- إيان- لطلية- إجانة- غشمان- بنو تيطاسن-¹⁶.

وأدخل ابن حزم الأندلسي قبيلة زواوة ضمن قبائل كتامة¹⁷.

ومن هذين الجذرين تفرعت كامل القبيلة، وقد تشاركت بطونها في المجال والعادات والتقاليد، ومع ظهور الدعوة الإسماعيلية وانتشارها قرر الداعي تقسيمها إلى سبعة قبائل كبرى قلد لها مهام الدعوة والعسكر ونعتقد أن هذا كان بسبب العوامل التالية:

- الثقل الديمغرافي لتلك القبائل .

- السبق في الدعوة.

وقد لعبت هذه القبيلة أدوارا كبرى مع نهاية القرن 3هـ/9م وهذا في إطار اشتراكها الكلي في الصراع الذي كان طرفاه الإمارة الأغلبية والجماعة الإسماعيلية، ومن بين تلك البطون والقبائل



المشاركة ماييلي: جيملة، بنو سكتان، مسالته، غشمان، أجانة، لهيصة، لطاية، متوسة، ملوسة، دنهاجة... لكن في المقابل نؤكد على أن هذا المجال لم يكن مقتصرًا على الوجود الكتامي فقد توطنت فيه قبائل نذكر منها:

قبائل البربر:

نفزة، سماتة، أواربة، هواره، مزاتة ورفجومة، ملزوزة، زناتة، بني معاد، بني ورديم، بني هراش، عجيسة....

قبائل العرب:

ربيعة، بنو سليم، بنو تميم، بنو خزيم، جذام ...¹⁸

ثانيا: ارتباط بلاد كتامة بالسلطة الأغلبية

دخلت بلاد كتامة والمغرب الأوسط ضمن مجال العالم الإسلامي خلال الفترة الممتدة (55-62هـ/675-681م) وهو التاريخ الذي تولى فيه القائد التابعي الجليل أبي المهاجر دينار¹⁹ استكمال فتح بلاد المغرب، متخذًا من مدينة ميلّة قاعدة له، ورغم أن البلاد فيما بعد ذلك شهدت العديد من حركات الردة وحتى إعادة اشتعال المقاومة البربرية للعرب الفاتحين لاسيما بعد ثورتهم كل من كسيلة بن ملزم الأوربي والكاھنة غير أن المنطقة تم إعادة فتحها، بالرغم من صعوبة تضاريسها وبعدها عن مراكز الخلافة والإمداد، غير أنها في الفترات اللاحقة لم تسلم من تبعيات الحراك المذهبي الذي كان مندلعًا ومحتدًا في إفريقية وبلاد الزاب بحيث أصبحت هذه البلاد لاسيما النائية منها أو الساحلية موطنًا للعديد من الهاربين من السلطة أو المنهزمين في الحروب.

لا نعرف تاريخًا محددًا لانضمام بلاد كتامة إلى السلطة الأغلبية غير أننا نرجح أن هذا الانضمام كان منذ نشأة الدولة الأغلبية وقرينة ذلك هو أن مؤسس الدولة الأغلبية وهو إبراهيم بن الأغلب²⁰ والذي "وصله عهد الرشيد في العشر الوسط لجمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين ومائة، وقال له فيه: قد تقدم لكم بإفريقية أمر. وكان الرشيد قد ولاه بلاد الزاب"²¹،



وولايته على الزاب وما جاورها من بلاد كتامة من الطبيعي أنها قد جعلته يدرك أهمية المنطقة (بلاد كتامة) سواء:

- 1- لثقلها الديمغرافي بحيث أنها كانت موطنه من طرف العديد من القبائل البربرية (كتامة- نفزة- زناتة- هواره- أوربة)، إضافة إلى العديد من القبائل العربية (بنو تميم- بنو سليم).
- 2- أو لحصانتها الجغرافية (لدرجة أن أهلها عبر كل العصور كانوا يمتنعون عن دفع الإتاوات)²².

3- ولما تمتعت به من ثروات طبيعية.

- 4- إضافة لأنها كانت بوابة لإفريقية وبالتالي فإن السيطرة عليها يجعل منها حاجزا مابين إفريقية الأغلبية وكيانات العلوية والسليمانية والقبائل الدائرة في فلك الإباضية.

ثالثا: مؤشرات تبعية البلاد الكتامية للسلطة الأغلبية

أ: تولية حكام المدن وتوطين العرب

بعكس ما يشاع من أن بلاد كتامة والمناطق الجبلية كانت منطقة بربرية خالصة، بقدر ما نفند هذا الرأي ونؤكد على أن المنطقة كانت خلال القرون الأولى من الفترة الوسيطة رمزا للوجود العربي، والذي دخل المنطقة وتوالد فيها وتكاثر منذ الفتوحات الإسلامية وعصر الولاة، وتعزز توطينه فيها بقيام الإمارة الأغلبية ذات الأصول العربية التميمية والتي عملت على تنصيب بعض البيوتات العربية وقبائلها على مدن وحواضر بلاد كتامة وإقطاعهم الأراضي، ومن بين تلك المدن مايلي:

1- ميلة²³ :

كانت مدينة ميلة²⁴ خلال تلك الفترة " عظيمة جليلة، عامرة محصنة... لها حصن دون حصن ..."²⁵، وقد حكمت هذه المدينة من طرف العرب وتبعت لسلطان الأغلبية، وقد عمرت من طرف غالبية عربية ذات أصول من قبيلة بني سليم أحد فروع قبيلة ربيعة الكبرى، وكان يشرف عليها أواخر القرن 3هـ/9م "موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب"²⁶ والذي كان ركيزة من ركائز القوة الأغلبية في المنطقة، و كان هذا الأمير وجيشه من أبرز



المساهمين في الجيش الأغلي في فتوحات شمال البحر الأبيض المتوسط، لهذا فإن سقوط مدينته وحكمه في يد الجماعة الإسماعيلية سنة 289 هـ/901م كان ضربة كبرى تلقاها الحكم العربي الأغلي في المنطقة.

2- سطيف:

كانت مدينة سطيف تقع في قلب وعمق مجالات كتامة وقد كانت نواحيها منطلقا ومسرحا للدعوة الشيعية الإسماعيلية في مرحلة البذر، وكباقي مدن كتامة الكبرى فقد حكمت هذه المدينة من طرف الإمارة الأغلبية وأوكلت إدارتها وشؤونها لقبيلة بني أسد بن خزيمه²⁷؛ وكان الحاكم الأخير لها هو علي بن حفص والمعروف بابن عسلو²⁸، وقد اشترك هذا الحاكم العربي في جميع الخطط والمؤامرات التي كانت تستهدف إجهاض وواد المشروع الإسماعيلي بحيث أنه: "قام وقعد في أمر أبي عبد الله، وأدار الحيلة في أخذه، وزحف مع أبي حوال مرتين إليه ولم يبق شيئا قدر عليه إلا استفرغ جهده فيه"²⁹، وقد عرفت الجماعة الإسماعيلية خطره وواجهت صعوبة كبرى في إسقاط مدينة سطيف، وكان هذا بسبب الميزات التي تمتع بها هذا الأمير بحيث تؤكد المصادر الشيعية: "أنه كان من الأبطال المعدادين، ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والدكر"³⁰.

3- جيجل:

كانت مدينة جيجل الساحلية تعد من أهم المراكز الساحلية في المجال الكتامي³¹، وبالرغم من أن المصادر التاريخية لم تشر إلى من استوطن المدينة من القبائل العربية ومن كان يشرف عليها، إلا أن هذا لا ينفي وجود جالية عربية كانت تشرف عليها على غرار مدن كتامة المهمة كسطيف وميلة، أو حتى المدن الساحلية المغرب الأوسطية والتي عمرت أو أعيد توطينها من طرف جاليات عربية لاسيما الأندلسية منها كوهان³².

ب: الحضور العسكري

إن المتتبع للأسطوغرافيا التاريخية بنوعها المشرقية والمغربية وحتى الجغرافية والتي أرخت للقرون الأولى بعد الفتح يدرك حجم التواجد العسكري الأغلي في الجهة الشرقية من



أرض المغرب الأوسط (بلاد: كتامة- الزاب)، والذي كان موجها إلى قمع القبائل المعارضة البربرية وحتى العربية منها، ومن القرائن التي تدل على ذلك الحملات الأغلبية ضد بنو تميم والذين كانوا طوال عقود يذلون كتامة³³، ومن بين مظاهر ذلك الوجود ما ذكره ابن عذارى المراكشي في أحداث سنة (268هـ/881م) أنه: "كان فتك إبراهيم بن الأغلب بأهل الزاب وقتلهم جميعا وقتل أطفالهم وحملوا على العجل إلى الحفر فألقوا فيها"³⁴. هذا إضافة إلى الحضور العسكري الأغلب في كل من المدن والحوضر الكبرى على غرار كلا من سطيف وميلة وطبنة وبلزمة وغيرها.

وقد شهد الزاب والمجال الكتامي العديد من المواجهات العسكرية إن لم نقل مجازر ارتكبت في حق المعارضين للأمير الأغلب لعل أهمها تلك التي حدثت بالقرب من مجالات كتامة وبالضبط في بلاد الزاب والتي تراوح عدد ضحاياها ما بين سبعمائة³⁵ وبين ألف³⁶، على يد الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب³⁷، والذي أصر على إعدام خيرة رجال بلزمة في رقادة وهذا بعد إجارتهم لرجل منهم³⁸.

وتعد تلك المجازر من بين أهم الأسباب التي عجلت بزوال نفوذ الأغالبة وسقوط دولتهم، ذلك لأن من بين القتلى كان نحو ألف من رجالات العرب والذين كانوا محسوبين على الدولة وعلى قوتها كما أنهم كانوا رمحا مسلطة ضد قبيلة كتامة فلما قتلوا ارتاحت كتامة وبدأت تبحث لنفسها عن كيان ودولة³⁹.

ج: العلاقات الخاصة

تطلعنا المصادر الإسماعيلية لاسيما المتقدمة منها والتي أرخت للصراع الذي كان مندلعا بين الأغالبة وكتامة المؤيدة للمشروع الشيعي دلالات وإشارات على وجود علاقة متميزة جمعت حكام الدولة الأغلبية وبعض زعماء قبيلة كتامة، ومن بين أمثلة ذلك علاقة الصداقة التي جمعت مابين الأمير الأغلب وأمير "قبيلة مزانة" يوسف العطاشي والذي كان في أحد المرات قصد إبراهيم بن أحمد فكان من شأن هذا الأخير أن "حياه، ووصله، وكساه، وحمله، وأعطاه جارية نفيسة..."⁴⁰.



د: توفير اللجوء السياسي

إن اللجوء السياسي كان أحد الأسلحة الموظفة في الصراع المذهبي ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، حيث حرص المتحاربون على استقطاب القبائل والبيوتات والجماعات المذهبية المناوئة للخصوم، وقد وظفت الإمارة الأغلبية هذه الإستراتيجية مع كتامة المعارضة للدعوة الشيعية، بحيث كان أمراؤها وكبارها وشيوخها يفرون عند هزيمتهم إلى البلاط الأغليبي الذي كان يوفر لهم ملجأً آمناً ويعمل على شحنهم سياسياً ومذهبياً، ويعتبر نص القاضي النعمان " افتتاح الدعوة" أهم مصدر وثق أحداث وأسماء اللاجئين، ومن بينهم: فتح بن يحيى المسالتي والذي كان من أشد أعداء الدعوة وكان يلقب بالأمير⁴¹ " وكان مطاعاً في قومه، وشديد في نفسه، ونجد بيده، وفارس مشهور في قومه"⁴²، وقد فشلت جميع مساعي هذا الأمير في إخماد الدعوة الإسماعيلية والتي انتشرت بين قومه وما جاورها من قبائل، حيث هرب في الأخير إلى إفريقية " وقدم على أبي العباس أحمد بن إبراهيم - وهو يومئذ بتونس بعد خروج أبيه إلى صقلية - فوصله، وأدناه، وأنزله، وأكرمه..."⁴³ وكان للجوئه إلى البلاط الأغليبي دور كبير في أحداث المنطقة فيما بعد، بسبب أنه كان المحرض الأساسي على خروج قوات أغلبية من إفريقية لمواجهة الداعية أبا عبد الله الشيعي والقضاء على أتباعه، وبالفعل فقد توجهت أول حملة أغلبية رسمية تجاه بلاد كتامة للقضاء على الداعية أبي عبد الله ومن تبعه من كتامة.

ومن بين هؤلاء الذين دارت عليهم الدائرة في بلاد كتامة من العرب ووجدوا في البلاط الأغليبي ملجأً لهم بعد ضياع نفوذهم ومذهبهم : ابن أمير مدينة ميله وهو أبو إبراهيم بن موسى بن العباس والذي استطاع يوم سقوط مدينة ميله بالتعاون مع أبيه من " التسلل... وهربوا بالليل ولحق بإفريقية..."⁴⁴ واستقروا ببلاط أبي العباس بن أحمد بن إبراهيم الأغليبي " وهو يومئذ بتونس، فأخبروه بالخبر"⁴⁵ وكان هدفهم في البلاط هو تحريض الأمير الأغليبي على أبي عبد الله الشيعي بحيث: "ضعفوا عنده أمر أبي عبد الله، وسألوه في إخراج عسكر إليه معهم، وضمنوا له ملك أمره"⁴⁶

شكل هؤلاء اللاجئين طبقة هامة في المؤسسة العسكرية الأغلبية، إذ كانوا في مقدمة وعلى رأس الجيوش الأغلبية وهذا للأسباب التالية:



• مكانتهم في التراتبية الاجتماعية بحيث أنهم كانوا من أمراء قبائلهم ومقدمها.

• معرفتهم بتضاريس المنطقة وجغرافيتها.

• الاندفاع الكبير الذي تميزوا به بسبب أنهم خسروا مكانتهم وسلطتهم في قبائلهم وكانوا شديدي الحرص على استرجاعها والتنكيل بالداعية ومن انضم إليه.

رابعا: الدعوة الشيعية الإسماعيلية ونهاية الحكم الأغلي في بلاد كتامة
أ: بلاد كتامة موطن الدعوة والدعاة:

رغم تعدد حركات المعارضة التي واجهت الإمارة الأغلبية في إفريقية وحتى في الجزء الغربي من المغرب الأوسط، إلا أنها واصلت سيطرتها وبقائها بل إنها كانت عازمة على مد نفوذها في البحر الأبيض المتوسط ومواصلة الفتوحات في إيطاليا، وظلت الأمور على هذا النحو إلى غاية سنة 280هـ/893م، وهو تاريخ بدء الدعوة الشيعية الإسماعيلية⁴⁷ في المجالات الكتامية؛ هذا الحدث تمخض عنه تحولات سياسية ومذهبية عميقة كان بدايتها الصراع الداخلي الذي اندلع واحتدم بين كتامة المؤيدة للمشروع الشيعي الإسماعيلي وكتامة المعارضة له، وألقى بضلاله على السلطة الأغلبية وولاياتها في المنطقة.

لقد أصبحت بلاد كتامة منذ منتصف القرن 3هـ/9م ضمن اهتمام القيادة الإسماعيلية في بلاد المشرق والتي أرسلت لها الدعاة لتهيئة الأجواء والبداية كانت مع أبا سفيان والحلواني والليزان أوصتهما القيادة بأن "يبسطا ظاهر علم الأئمة (صلوات الله عليهم) وينشرا فضلهم"⁴⁸. وعلى حسب المصادر الإسماعيلية فإن هذه البعثة نجحت في تهيئة الأرضية وتقبل للناس للتشيع، بحيث تشيعت الكثير من قبائل المنطقة لاسيما من "كتامة، ونفزة، وسماتة"⁴⁹ ومع قدوم سنة 280هـ/893م دخل إلى بلاد المغرب الداعية أبا عبد الله الشيعي الصنعاني⁵⁰ والذي استقر في مجالات كتامة متخذا من إيكجان مركزا لدعوته، وبسبب المنهج الذي اتبعه ومن خلال استحداثه لمؤسسة "مجالس الدعوة"⁵¹ التي تحولت إلى "مجالس الحكمة" فإنه كان قد نجح في تشييع العديد من بطون قبيلة كتامة وأعيانها، ولعب الكتاميون لاسيما من بني سكتان الجيميليين المستقرين بإيكجان دور كبيرا في استقطاب القبائل وكانوا يقيمون ضيافة من يأتيه، ويرد عليه، ويحمل المؤمنون إليه، وينفقون في ذلك، رغبة في



الثواب، وتقربا إلى الله عزوجل بعمل الخير"⁵²، وقد أدى هذا العمل إلى ضغوطات كبيرة على سيد القبيلة وهو بيان بن صقلاب، وبالرغم من أنه لم يتشيع إلا أنه اعتبر الداعية ضيفا له ورأى من العيب والعار تسليمه، لكن الضغوطات عليه دفعت في الأخير أبا عبد الله الصنعاني إلى مغادرة إيكجان نحو تازروت، والتي مثلت معقلا ومركز لتجمع بني غشمان وأصبحت هذه المدينة تعرف "بدار الهجرة" و "بموطن الدعوة والإيمان".

ب: اندلاع الحراك العسكري وزوال الحكم الأغلي في بلاد كتامة

إن التحولات المتسارعة في عمق مجالات كتامة أقلقّت حفيظة زعماء القبائل وكبار حكام المدن والذين "خافوا على زوال رئاستهم من أيديهم... واجتمعوا، وتراسلوا، وتعاقدوا..."⁵³

جدول يوضح: أمراء المدن القوية من أصحاب العدد والعدة والقوة والنجدة والأموال

الكثيرة

المدينة	أميرها
ميلة	موسى بن العباس
سطيف	علي بن عسلوجة
بلزمة	حي بن تميم

جدول يوضح: مقدمي قبائل كتامة ومشايخها وأبطالهم:

القبيلة	ممثليها
مسالطة	فتح بن يحي المسالتي (المعروف بالأمير).
لهيصة	مهدي بن كناوة
أجانة	فرح بن جيران
لطاية	تميم بن فحل
متوسة	زياد المتوسي



لقد كان للانتصار الذي صنعته الجماعة الإسماعيلية بمعسكر كتامة الموالية للدولة الأغلبية بعد موقعة تازروت تأثيرا بالغا، حيث ضاقت الأرض عليهم، كيف لا وهم يشاهدون توسع رقعة دعوة أبي عبد الله الشيعي وازدياد أنصاره و إتباع القبائل له، في المقابل كانوا يخسرون امتيازاتهم ومكانتهم في قيادة قبائلهم التي بدأ أفرادها ينضمون للدعوة فرادى وجماعات، لهذا اتجه الكثير منهم نحو إفريقية وبلاط الأغالبة وهذا لتحريضهم بإخراج جيوش نظامية تتصدى للداعي وأتباعه، وكان على رأس هؤلاء المحرضين فتح بن يعي المسالتي الذي وعدهم بالمساعدة في حين كان توجه جيوشهم لبلاده كتامة⁵⁴.

1: سقوط ميلة 289 هـ/901م

مثل صراع أبي عبد الله الشيعي مع الأغالبة المرحلة الحاسمة في تاريخ الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، فمن غير المعقول أن تقوم خلافة المهدي المنتظرة ويتجاوز معها إقليم وإمارة تابعة روحيا ومذهبيا لخلافة بنو العباس، خصوصا وأن الأغالبة طالما تتبعوا فلول العلويين وبادروا إلى وأد مشاريعهم وهي في مهدها، وبالتالي كان لا بد أن تصطدم دار الهجرة ويصطدم المجتمع الشيعي الوليد بدولة الأغالبة⁵⁵ وكانت البداية هي أقرب المدن للجماعة الإسماعيلية وهي مدينة ميلة ووالها موسى بن العباس.

كانت مدينة ميلة رمزا للحضور العربي في بلاد كتامة⁵⁶، وكان يحكمها أواخر القرن 3هـ/9م رجل من بني سليم هو موسى بن العباس بن عبد الصمد⁵⁷، وقد كان الداعية أبي عبد الله الشيعي مدركا جيدا لخطورتها ذلك أن والها كان خصما دائم التربص به محرضا لقبائل كتامة على محاربة الدعوة الجديدة وأنصاره، وكان أبا عبد الله الشيعي ينتظر نزاله وزحف على مدينته، وكان للداعية في صراعه هذا يوظف جهاز مخابرات قوي يعلمه بكل التطورات شاردها وواردها" لدرجة أنه كان يرسل إلى إفريقية قوما يأتونه بالأخبار، لا يقطع ذلك، ف قيل: كان لا يمر يوم إلا وعنده منها خبر"⁵⁸، وجاءته الفرصة مناسبة لما علم بخروج الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد سنة 289هـ/901م قاصدا صقلية والتي استعصى فتحها على المسلمين فيما مضى من سنوات، ففتحها ودخلها عنوة، وواصل توغله في العمق الإيطالي حتى سقط شهيدا في آخر



ذوا القعدة من سنة 289هـ/901م، وكان موسى بن العباس صاحب مدينة ميله قد أسهم في هذا الغزو بنصف قواته، من الحامية المرابطة بالمدينة، فكان هذا" من العوامل التي سهلت مهمة أبي عبد الله الشيعي وأنصاره لدخول المدينة"⁵⁹؛ إضافة لعامل داخلي جد مهم كان جاذبا ومحفزا لأبي عبد الله الشيعي ليتوجه نحو المدينة ويستولي عليها وهو احتدام المنافسة والصراع القبلي داخل المدينة بين كل من "السناجرة" و"بني سليم"، وكان على رأس السناجرة الحسن بن أحمد بن علي بن كليب والمعروف "بأبي الخنزير" والذي انحاز إلى دعوة أبي عبد الله الشيعي وكتبه، وسار إليه وأطلعه على غرة البلد⁶⁰، فتوجه أبي عبد الله بجموعه نحو المدينة وحاصرها من جميع جهاتها، ونازل الداعية والها ومن معه من رؤساء كتامة الموالين للأغلبية على غرار: فحل بن نوح، فرح بن جيران، يوسف بن محمود، ووزرة بن نصر⁶¹، وقاتلوا قتالا شديدا⁶²، وقتل فحل بن نوح وغلب الداعية وجنده على أراض ميله، حينها لجأ الجند المنهزم إلى حصن المدينة.

ويبدو لنا أن جزء لا بأس به من ساكنة المدينة لم ينضموا إلى والها للدفاع عنها، وحسبنا في هذا لما أيقن والها بقرب سقوطها أرسل إلى الحسن بن أحمد بن أبي الخنزير طالبا منه التوسط عند أبي عبد الله من أجل تسليم المدينة شريطة عدم التعرض لأهلها، غير أن هذا الإجراء يبدو لنا أنه كان جزءا من مناورة من والي المدينة والذي يبدو أنه كان يبحث عن الوقت لهروب ابنه وحاشيته وحقا هو ما حدث حيث إن ابنه أبا إبراهيم ابن موسى ابن العباس" تسلل في جماعة ممن معه وهربوا بالليل ولحق بإفريقية"⁶³، لكن الغريب هو بقاء وجوه كتامة من الإيجانيين الذين حاربوا الداعية في الماضي، وطمعهم في عهد الأمان للسكان الذي أعطاه الداعية لكنهم قتلوا، ويبرر القاضي النعمان قتلهم من طرف جيش الداعي بأن الذي سعى في ذلك هو أبو زكي والذي كان خائفا من فقدان مكانته في إجانة إذا بقى هؤلاء الوجوه أحياء ودخلوا الدعوة⁶⁴؛ واتبع أبا عبد الله إجراءاته بتنصيب الداعية أبو يوسف مكنون بن ضبارة واليا على المدينة⁶⁵، وكانت هذه المرة الأولى التي في جولات الصراع يسقط



فيها مدينة وحصن كما استبدل القائم عليها السيد العربي برجل بربري مما أجج الصراع أكثر في المراحل القادمة⁶⁶.

2: أصداء سقوط ميلّة عند الإمارة الأغلبية

لجأت الفلول العربية المهزّمة بقيادة ابن أمير ميلّة السابق إلى كبير الأغلبية الذي كان يومها في تونس، فحرضوه على الداعية وقللوا من شأنه واعتبروا أن مصيره الانهزام عند خروج جيش الإمارة، فأمر بخروج الجيش للقضاء على الداعية وأمر عليه ابنه أبا حوال وكان هذا الأخير "فارسا شديدا وبطلا كميّا"⁶⁷، حيث انتقى من الجيش الأغلبى اثنا عشر ألف بين راجل وفارس، وخرج معه وجوه كتامة اللاجئين إلى البلاط الأغلبى، وكان خروج الحملة من مدينة تونس في ذي القعدة من سنة 289هـ، وتوغلوا في أعماق كتامة، ونزل بمدينة سطيف وفيها تجمعت حشوده بالتحاق بنو تميم من بلزمة ومن الكتاميين الذين لم ينضموا له، وبدأت الحملة بالانتقام من القبائل التي ساندت الداعية والبداية بالمجرسين⁶⁸ والذين قتلوا قتلا ذريعا، وانتهبت أموالهم وسيبت نساؤهم وذرايعهم⁶⁸، ثم اتجه بجيشه نحو أكبر تجمع للجماعة الإسماعيلية وهو تازروت.

غير أن الداعي كان يريد تجنب عاصمته الخراب والحصار فخرج للقاء الأغلبية ومن دار في فلكهم، وكان موطن النزال بلاد مملوسة بحيث دارت الهزيمة على الداعية وجيشه ليومين، وحجز الثلج بين قتال الفريقين فخرج الداعية بمن معه من تازروت واتجهوا نحو إيكجان، فسار أبو حوال نحو تازروت ووجدها خالية فأحرقها وهدم قصر الداعي فيها، ثم توجه نحو ميلّة ووجدها خالية فنزل بناحية منها مخندقا على أمل التوجه نحو إيكجان للإجهاز على الجماعة الشيعية، وفي صباح اليوم الموالي حدث ما قلب الموازين؛ وذلك أن أبو إبراهيم بن موسى بن العباس قرر أن يمضي إلى كجامة لإعادة دفن أبيه (الذي كان واليا على ميلّة) والذي قتله الداعية ورمى به في مطمورة، فتوجه نحو كجامة وهي بلد لطاية غير أنه التقى بفرسان كجامة فاشتبكوا واشتد القتال بينهم وانجدا كلا من المعسكرين فريقه ومع هبوط الليل كانت الدائرة على معسكر أبي حوال، والذي هرب بقواته تلك الليلة نحو إفريقية⁶⁹.



غير أن هذه الحملة الأغلبية لم تكن هي الأخيرة فقد أرسل أبو حوال مرة أخرى على رأس جيش كان أكثر قوة وعتاد وعدد وسلك به نفس الطريق السابقة حتى نزل بسطيف، ولما علم به الداعية خرج على رأس جيش شمل كل من تجمع في إيكجان ونزل بتاسدق من بلد لهيصة وخرج أبو حوال من سطيف نحو بلد ملوسة، فأرسل له الداعية أبا عبد الله الشيعي "عامة الخيل الذين معه... فلما أشرفت على أبي حوال خرج من خندقه بجميع عسكره، فاقتتل القوم قتالا شديدا وكانت الغلبة لأصحاب أبي عبد الله"⁷⁰، وحال الليل بين الفريقين وفي اليوم الموالي لم يقدر أبي حوال الخروج من خندقه والجماعة الإسماعيلية محاصرة له وظل كذلك إلى غاية الليل "حيث أوقد المشاعل وكر راجعا إلى سطيف"⁷¹ ولحقه الأولياء وضربوا ساقه جيشه وقتلوا الكثير منهم كما أنهم انتهبوا ممتلكاته، وبهذا انتهت الحملة الثانية التي وجهتها السلطة الأغلبية نحو البلاد الكنانية للقضاء على الجماعة الإسماعيلية والتي لم يتعدى عمرها وحراكها أكثر من 9 سنوات، وكان مصير أبي حوال هو القتل في تونس وذلك لأن الأحداث في إفريقية شهدت تطورات جديدة حيث تم انقلاب دموي في الأسرة الأغلبية وتولى الحكم زيادة الله بعد مقتل أبيه وقام بحملة تطهير في صفوف بطانة أبيه والعائلة الحاكمة ومن بينهم أبا حوال⁷²، هذا الأخير وبالرغم من هزيمته على يد أبي عبد الله الداعية في موقعتين إلا أنه كان أحد أبرز القادة الميدانيين للأغلبية، ومعني بالدرجة الأولى بمسألة الداعية وحراكه لأنه من الأسرة الحاكمة، وكان معول عليهم في القضاء على الدعوة أو على الأقل الإبطاء من زحفها.

2: سقوط سطيف 291هـ/903م

كانت مدينة سطيف خاضعة لحكم علي بن حفص والمعروف "بابن عسلوجة" والمنتعي لبني أسد بن خزيمه⁷³، "وكان من الأبطال المعدودين، ولم يكن له بالناحية كلها نظير في النجدة والذكر"⁷⁴، وكان منذ بداية الدعوة يكن لصاحبها وجماعته العداء ولم يذخر جهدا في القضاء على الداعية، واشترك في جميع الحملات ضده، ولما سقطت مدينة ميله وفشلت الحملات الأغلبية بقيادة أبي حوال، واقترب الخطر منه أكثر بدأ يخرج على رأس جيشه رفقة



بقايا من كتامة كان قد جمعهم وكان في كل تلك المعارك يظهر عن شجاعة منقطعة النظير حيث أنه قتل بسيفه في أحدها "ثلاثة عشرة فارساً، في القتال، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة"⁷⁵ وكان القتال بينه وبين الأولياء أربعين يوماً، بعدها رجع الداعية إلى إيكجان، ومكث فيها شهراً "وجمع الأولياء وأوعب في جمعهم، وزحف إلى سطيف في عساكر لا يحصى عددها حتى أحاط بها"⁷⁶، وخرج "ابن عسلوجة" كعادته إلى أن غلب وحوصر في قلعته لأيام، ومات هو وأخوه وأبو حبيب ورغم أن المصادر لم تفصل في طريقة موته، إلا أننا نرجح أنه يكون قد اغتيل من طرف أعين وأيادي الداعية أبو عبد الله الشيعي داخل الحصن، فليس من المعقول لرجل أجمعت المصادر على شجاعته المفرطة أن يموت في حصار دام فقط أيام معدودات، داخل مدينته ومع أخيه وأقرب أتباعه، وعموماً بعد وفاته انفرط عقد المقاومة في المدينة، وتفاوض الداعية مع داوود بن حباسة اللهيصي والذي كان في جملة قواد "ابن عسلوجة"، ورضي بأن تسلم المدينة وتفتح أبوابها شريطة ضمان "أهل البلد كلهم"⁷⁷، وأمنهم الداعي عدا بعض الأفراد الذين قتلهم كما قام بهدم سور المدينة وتعيين عليها عاملاً جديداً، وبموت "ابن عسلوجة" تنتهي أكبر مهمة للداعي في صراعه مع أقوى البيوتات العربية في المجالات الكتامية، ذلك أن المدن الأخرى وعمالها لم يكونوا يمثل قوة وشجاعة صاحب مدينة سطيف.

أصداء سقوط سطيف عند الإمارة الأغلبية

كان سقوط سطيف وما تعنيه من أهمية للأغلبية في المجال الكتامية أول الأخبار التي يتلقاها أمير رقادة الجديد، فعمد إليه العديد من وجوهها ووجوه ميلة التي سقطت قبلها وبدؤوا تحريضه وتخويفه من تمدد أبي عبد الله الشيعي "فأخذ في جمع العساكر وبذل الأموال، فاجتمعت إليه عساكر عظيمة"⁷⁸ وقدم على هذه الحشود أحد أفراد بيته وهو "إبراهيم بن حبشي"، وبلغ هذا الجيش قوامه 40 ألف⁷⁹ ، و أكبر جيش أخرجه إمارة الأغلبية منذ تأسيسها سنة 184هـ/800م غير أنه صاحبه وقائده يختلف تماماً عن القائد المغدور والسابق (أبي حوال) حيث إنه لم يكن من رجالات العسكر ولم يكن مشهوراً بالقوة والبطش بل كان يغلب عليه اللين⁸⁰ ، وخرج إلى المغرب الأوسط ورسم له الكتاميين طريقاً غير



الطريق الذي سلكه سلفه حيث توجه نحو قسنطينة والتي يبدو أنها خلال هذه الفترة لم تكن قد سقطت في يد الداعية إلا أننا نعدم والمها ومن كان قائما عليها، وبقي القائد الأغلي وجيشه بقسنطينة لمدة ستة أشهر في ترقب أن تدعم صفوفهم بقوات جديدة، كان على رأسها شيب بن أبي الشداد أمير طينة والذي خرج على حسب الداعي إدريس القرشي " في جيش عظيم"⁸¹.

ذكر القاضي النعمان رقما محادا لهذا الجيش وانه بلغ مائة ألف⁸² ، غير أننا نرى أن هذا العدد كان مبالغا فيه، لكن في المقابل لا يمكن نفي أنه الأكبر في تعداده، ذلك لأن الأمير الأغلي اعتمد في جمع الجيش على المال واستمالة القبائل بالحمالان والخلاص، وقد يكون هذا عامل ضعف بالنسبة لهذه الجيوش فخروجها كان من أجل المال والغنيمة وغالبيتها كانت تقاتل في مجالات غير مجالاتها، أما جيش الجماعة الإسماعيلية بقيادة أبي عبد الله الداعية، فقد كان جيشا عقائديا لا يرمي من خروجه إلى تحصيل المغانم، إضافة إلى أنه إذا دافع فهو يدافع عن حماه وإن كان يهاجم فقد كان يرمي إلى توسيع نطاق دعوته والتخلص من الأغلبية وولاتهم المسيطرين على مجالاتهم، وكان مصير هذه المعركة على منوال سابقاتها، فقد خرج ابن الحبشي من قسنطينة ونزل بكنينة والتي أصبحت بالنسبة للأغلبية تُعرف بمجزرة كينونة، وهاجم قوات استطاع إسماعيلية مباشرة لدى رؤيته إياها، وقد كان ذلك تعجل وتهور منه، فهو كان لم ينزل ويربح قواته ولم يخندق عليها كعادة سلفه، وزحف الداعي بقواته كلها عليهم، والتحم القتال، وجرح ابن الحبشي، وبدأ جيشه في الانهزام وتركوا الأموال والأثقال وجيش الداعي يطاردهم قتلا وأسرا. وإن كانت المصادر لم تحدد عدد القتلى إلى أنه من خلال الرسالة التي بعثها قائد الجيش المنهزم إلى الأمير الأغلي في رقادة تدل على عظم الكارثة حيث كتب له أنه " قتل أكثر أهل العسكر"⁸³.

3: سقوط تيجيس 294هـ/907م:

كانت تيجيس من بين المدن التابعة للحكم الأغلي، وكان والمها هو ابن ركاب، وكانت هذه المدينة سالمة من الحراك الشيعي العسكري في المنطقة إلى غاية اليوم الذي اتصل فيه قوم من هواره ورأس الفحصيين من بني مغار وكانوا بقايا شيعية تشيعوا على يد الحلواني⁸⁴ ، فذهبوا إلى



إيكجان لإعلان انضمامهم، وكان من بينهم فارس جلد مقدم اسمه حمزة الملزي، قرر هذا الأخير الإغارة على نواحي باغاية وتعطيل مصالح الأغلبية فيها وصادف هجومه مرة سفارة مهمة قادمة من إفريقية بأمر من زيادة الله نحو المدينة فهجم عليها رفقة غلام له " فهجما فيها، وقتلا جماعة من أهلها وأخذا ما أصابا مع من قتلاه من المال وما قدرا عليه من المتاع"⁸⁵ وغنم الكثير وكان من بينها رسائل وقدم على أبي عبد الله" فسرّه ذلك وكان سروره بالكتب وعلم ما فيها أكثر"⁸⁶، فلما رأى بقية قومه بلاؤه قاموا معه بشن الغارات وأرهبوا وأربعوا كل المنطقة الممتدة ما بين باغاية وتيجيس، فلما رأى أهل تيجيس خطورة ذلك وتربص الجماعة الإسماعيلية بحماهم وعلمهم بما جرى من المدن التي سقطت قبلهم، قرر حاكمها ابن ركاب أبا عبد الله مراسلة الداعية وإعلان خضوعه له⁸⁷.

وكانت الصعوبة في أن الأمير الأغلبي زيادة الله كان له بالمدينة" رابطة خمسمائة فارس مع عبد من عبيده يقال له يحفور"⁸⁸، فأرسل الداعية لهم جيشا بقيادة مكتداس الجيملي، فلم يخرجوا له وتحصنوا بحصن منيع، فانصرفت قوات الداعي واستبدلها بجيش آخر بقيادة يوسف بن سكلب الغشمي وحاصر المدينة والحصن، وأقنع أبي الركاب الحامية بالجلء من المدينة، وقام سكانها إلى القائد الكتامي فصالحه أهل المدينة على أن يدع الرابطة وفعلا خرجت الرابطة بعتادها وأسلحتها"⁸⁹؛ وبعدها دخل جيش الداعية" تيجيس صلحا، فلم يعرضوا لأحد من أهلها بمكره وانصرفوا إلى بلدهم"⁹⁰، وانتشر خبر سقوط المدينة ودهش عامة إفريقية من صنيع أبي عبد الله الشيعي وعفوه وإطلاقه للجماعة المرابطة في تيجيس" وسكنت أنفسهم إليه، ومالت نحوه قلوبهم...بعد أن كانت نافرة"⁹¹.

4: سقوط مجانة 294هـ/907م

كانت مدينة مجانة من بين تلك المدن التي تبعت لسلطان الأغلبية وكانت قبيل سقوطها يحكمها خفاجة العبسي عاملا لزيادة الله، وكانت المدينة ضمن مخططات الداعية الذي أرسل لها جيشا قواه ألف فارس والذين اصطدموا بحامية المدينة خارج أسوارها غير أنهم لم يضيفوها، فنهبوا نواحيها وعادوا إلى إيكجان، وابتعث الداعية جيشا من جديد وأمر عليهم



أبو مديني والذي سلك طريقا نحو المدينة من تبسة والتقى الفريقان على رأس جبل المطاحن والذي تعرف به مدينة مجانة فكانت الغلبة لخيل الجماعة الإسماعيلية والذين قتلوا خفاجة العبسي وجماعة معه واحتزوا رؤوسهم، وافتتحوها عنوة⁹²، وهرب البقية نحو القلعة وهي قلعة بسر وقتلوا دونها بعدها رجع الجيش إلى إيكجان⁹³.

5: سقوط تيفاش 294هـ/907م

كانت مدينة تيفاش تتبع سلطان الأغلبية وكان إسحاق بن سلاس عاملا عليها للحاكم زيادة الله، وقد تأثر إسحاق من تخاذل الأغلبية وتركهم لمذنبهم تسقط فلما قربت خيل الداعية منه ترك المدينة وتوجه نحو إيكجان معتنقا الدعوة، فلما وصل الخبر لمسامع زيادة الله انتدب قوما نحوها لكنهم خافوا من ذلك فذكر على مسامعه رجل منها" يقال له: حبيب بن ليفة، فكتب إليه بالولاية، وبعث إليه بصلة وخلعة، فقبل وتولى أمر تيفاش"⁹⁴، خير أن هذا الأخير مع أول جيش أرسل من إيكجان تحت قيادة الداعي صولات بن القاسم السكتاني⁹⁵ هرب وتركها لمصبرها" فتلقاه أهلها واستأمنوا إليه، فأمنهم ودخلها وأقام بها"⁹⁶

7: سقوط قلعة 295هـ/907م

كانت قلعة قريبة من تيفاش وقد تأسى وجوها بأمر تيفاش فخرج مقدمهم خلفون بن مهدي ودخل في دعوة أبي عبد الله الشيعي، وقد تزودت المدينة بثلاثمائة مقاتل للمرابطة فيها قدموا من تيفاش وبقي في هذه الأخيرة قرابة المائتين، ولما سمع زيادة الله بعدد الجند المتبقي في تيفاش أرسل إليها جيشا قوامه "أني عشرة ألف فارس وما لا يحصى من الرجال وكان الذي حركه على ذلك حبيب بن ليفة وجماعة فلم يشعر صولات ومن معه من الأولياء بتيفاش حتى أظلمهم العساكر"⁹⁷ وخرج صولات لمقاتلة جيش الأغلبية واصطدم مع مقدمته غير أنه انسحب بعدها لقلّة عدده، ودخل الجيش الأغلب المدينة وقتلوا من وجدوا فيها من الأولياء وعلى رأسهم عبد الله بن كليب⁹⁸.

8: سقوط بونة 295هـ/907م



كانت قبيلة أوربة تسكن بونة ونواحيها وكان المقدم على رأس هذه القبيلة هو خليل الأوربي⁹⁹ والذي دخل الدعوة، غير أن أهل قبيلته ارتدوا بعدها وقتلوه، فتوجه ابنه أبا عبد الله منصور بن خليل الأوربي نحو الداعية في إيكجان وطلب منه إيفاد جيش معه لمعاقبة المرتدين والأخذ بثأر أبيه" فأمر أبو عبد الله بإخراج عسكر، وقدم على كل قبيلة فيه منهم، فخرجوا مع منصور حتى أتوا بونة، فنزلوا على مجاز المراكب وقسموا العسكر على ثلاثة أثلاث، فأخذ الثلث على ساحل البحر، والثلث على سنديني وإيزان، والثلث في وسط الفحص، وشنوا الغارات على أوربة فقتلوا كل من مروا به، وغنموا أموالهم، واجتمعوا بباب زانة، وانصرفوا بالغنائم إلى إيكجان¹⁰⁰. وكانت هذه المعركة تمثل آخر نقطة ساحلية وصل إليها الجيش الكتامي، بالتالي انتهاء العمليات العسكرية في مجالات المغرب الأوسط وبداية تحولها نحو المغرب الأدنى وإفريقية.

9: سقوط قسنطينة

عرفت قسنطينة خلال العصر الوسيط بأنها كانت من أحصن مدن كتامة طبيعيا ورغم الحروب التي كانت مشتتة في نواحيها¹⁰¹ إلا أن المصادر سككت على سقوطها، وكانت المدينة تابعة رسميا لسلطان الأغالبة وقد لجأ إليها كبير قادتها ابن حبشي في حملته على المنطقة وتحصنه بها لمدة ستة شهور وكان هذا سنة 292هـ/905م، وبعد مدة قصيرة جاء الدعم لهذا الجيش وهذا من خلال إرسالية الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث إلى عامله على طبنة وهو شبيب بن أبي شداد بخروجه هو وجنوده إلى مدينة قسنطينة لدعم الجيش المتحصن بها¹⁰²، وبالتالي أصبحت المدينة ممثلة بالجنود لدرجة أن الداعية أن القاضي النعمان قدر الجيش المتواجد بها مائة ألف رجل¹⁰³، غير أننا نفند هذا الرقم لكن نؤكد على العدد الضخم للجيش والذي جمع بين كل من:

- الجيش الأغلبي القادم من إفريقية.
- جيش مدينة طبنة بقيادة واليها شبيب بن أبي شداد.
- الجيش والحامية التي كانت تابعة لمدينة قسنطينة.



- جموع من قبيلة كتامة سواء المعارضين من الحروب السابقة أو من الذين انظموا مؤخرا بعد حملة أبي حبشي على أحواز قسنطينة.

ونظرا لإحجام الداعية أبي عبد الله الشيعي عن مهاجمة هذا الجيش، وتزايد الضغوط في المدينة (قسنطينة) بسبب كثرة الجموع وبحثهم عن نصر سريع والرجوع من حيث أتوا خرج ابن الحبشي من المدينة المحصنة وسار حتى وصل إلى "كبونة" أو "كينونة" والتي تسمى حاليا "بالقرارم" وهي تتبع ولاية ميلة وكانت خلال تلك الفترة تقع ضمن مجالات أجانة، وفيها حدثت "معركة كبونة" أو "كارثة كبونة" والتي تعد من أهم النكبات التي حصلت للسلطة الأغلبية وجموعها في بلاد كتامة بحيث وقعت فيها الهزيمة على جيش "ابن الحبشي وأصحابه، وعقر برذونه وجرح... واستوت الهزيمة، وأسلموا جميع الأثقال والأموال... وطالبهم الأولياء يومهم ذلك أجمع ومن غدا يقتلون منهم، ويغنمون أموالهم فقتل منهم ما لا يحصىه إلا الله تعالى وحده وغنم من أموالهم ما لا يحصى عدادا من أحمال الأموال، والخلع، والكراع، سائر الناس"¹⁰⁴ وتاريخ هذه المعركة كان في رجب من عام 292هـ/905م بدليل أن المؤرخ ابن عذارى المراكشي ذكر في أحداث هذه السنة (292هـ) "وقعة على عسكر السلطان... بكينونة واقتل الفريقان، فكانت بينهما ملحمة عظيمة، تطاعنوا بالرماح حتى تحطمت، وتجادلوا بالسيوف حتى تقطعت، ثم انهزم إبراهيم، ووقع القتل في أصحابه، فانهزم وقتل كثير منهم، ونجا باقهم، واشتغلت كتامة بالغنيمة والأموال وال سلاح والسروج واللجم وضروب الأمتع..."¹⁰⁵ لكن بعد نهاية المعركة كان مجال المطاردة يتجه نحو بلاد باغاية في الجنوب¹⁰⁶ وهو ما يطرح تساؤلا حول مصير قسنطينة بعد المعركة، إضافة إلى سكوت المصادر التاريخية لاسيما الإسماعيلية ونص القاضي النعمان. وبالرغم من أن الكثير من الباحثين يذهب إلى أن مدينة قسنطينة سقطت مباشرة بعد معركة كينونة ومن بينهم الأستاذ عبد العزيز فيالي¹⁰⁷، غير أننا نقفد هذا للأسباب التالية:

- حصانة المدينة وصعوبة اقتحامها بالرغم من نقص عدد القوات المتواجدة بها.



- توجه جيش الداعية على حسب رواية القاضي النعمان مباشرة بعد معركة كينونة في حملة إلى مدينة طبنة وهذا في إطار عملية ضرب القواعد الكبرى ببلاد الزاب التي كانت تتبع لسلطان الأغلبية¹⁰⁸.
- إضافة إلى رغبة الداعية أبي عبد الله الشيعي في معاقبة شبيب بن أبي شداد عامل مدينة طبنة والذي شارك بجموعه في معركة كينونة.
- عدم ورود أخبار الصراع حول المجالات والمدن القريبة من قسنطينة في سنة 292هـ وبالتالي فإننا نستبعد تاريخ سقوط المدينة المحصنة سنة 292هـ ونرجح أن تكون في سنة 294هـ/907 أو سنتي 295-296هـ/908-909م، وهي السنوات التي قد تكون سقطت فيها أحصن مدينة طبيعيًا في مجالات كتامة وسقوطها قد يكون تم بطريقة سلمية وهذا بعد طول الحصار حولها وخضوع جميع المدن المجاورة لها من الجهة الشرقية (قالمة تيفاش) إضافة إلى تحول كل قبيلة كتامة إلى نصره الداعية ومشروعه وفرار وانهمزام الكثير من البيوتات والقبائل العربية.
- بعد هذه الجولات والمنازلات استطاع الداعية تأمين مجال كامل وهو بلاد كتامة والذي ضمن من خلاله مايلي:
- ولاء وتشيع العديد من تلك القبائل.
- فرار معظم خصومه الذين كان من شأنهم ضرب مؤخرة جيشه أو الاستيلاء على كبار معاقله على غرار: إيكجان، وتازروت.
- ضمان التمويل الدائم لجيشه بسبب الثروات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة.
- اكتساب جيشه خبرة بسبب طول المدة التي قضاه في خوض معارك المنطقة والتي جرب من خلالها: حرب العصابات، حصار المدن، المواجهة المباشرة.
- إضافة لمعرفته بطرق قتال الجيش الأغلي والذي اختبره في كل من حملتي (أبي حوال، إبراهيم بن حبشي، إبراهيم بن الأغلب).



• استفادته من مخزون السلاح وأسلحة الحصار التي كانت متواجدة في كل من مدن بلاد كتامة وبلاد الزاب.

وبالتالي أصبح الطريق ممهد وخال وأكثر سهولة للتوغل في إفريقية وضرب الأغلبية في عمق ديارهم، وهو ماتم بحيث أن جيش الداعية أبا عبد الله الشيعي المتوغل في إفريقية استطاع الإجهاز على قوات الأغلبية وإسقاط دولتهم، وكانت المعركة الكبرى والفاصلة التي خاضها وهي قاسمة ظهر الأغلبية "معركة الأريس" في 2 جمادى الثانية 296هـ/25 فبراير 909م¹⁰⁹ ، ودخوله رقادة عاصمتهم.

من خلال هذه الدراسة حول موضوع: "بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والسلطة الأغلبية" توصلنا إلى النقاط التالية:

- عُرفت بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بأنها كانت بيئة جاذبة للدعوات المذهبية والتي سعت إلى إنشاء كيانات سياسية بها.

- نتيجة لفشل الحركات العلوية: السياسية منها وحتى المتمذهبة، اختارت الوجهة المغربية بسبب بعدها عن مركز الخلافة، ولتضامن البربر مع قضيتها.

- نتج التنظيم السري الدعوي للإسماعيليين في بلاد الشام (سلمية) بأن تم تركيز الدعوة في إثنا عشرة جزيرة (منطقة)، وكانت بلاد المغرب احد أهم تلك الجزر.

- أثمرت الدعوة في مرحلتها الأولى على يد كل من أبي سفيان والحلواني منتصف القرن(3هـ/9م) بتجنيد وتشجيع الكثير من قبائل افريقية وشرق المغرب الأوسط على غرار كل من: كتامة، ونفزة، وسماتة.

- أصبحت لبلاد كتامة ابتداء من سنة 280هـ/893م أهمية كبرى بالنسبة للحركة الإسماعيلية وهذا بوصول الداعية أبا عبد الله الشيعي الصنعاني في المنطقة.

- أدرك الأمراء العرب في بلاد المغرب الأوسط والسلطة الأغلبية بإفريقية خطورة الدعوة المذهبية التي بدأت تنتشر في البلاد الكتامية، لهذا تواصلوا مع حلفائهم الكتامين سرا وعلانية وحرصوهم على إجهاد المشروع الإسماعيلي في المنطقة وقتل الداعية أو طرده وتشيده.



- تحول الصراع من طابعه السلمي إلى العسكري وهذا بعد اجتماع أمراء المدن وتحريضهم قبائل كتامة على ضرب الداعية في معاقله في كل تازروت وإيكجان غير انه استطاع الانتصار عليهم.

- دخلت المواجهة مرحلة جديدة وهذا من خلال انتقال الداعية من مرحلة الدفاع نحو الهجوم ومن الاحتكاك بالقبائل إلى مواجهة أمراء المدن من العرب.

- نتج عن سقوط مدينة على يد الجماعة الإسماعيلية تدخلا مباشرا من الإمارة الأغلبية في إفريقية والتي أرسلت جيشا للقضاء على الدعوة والداعية غير أن انهزام هذه الحملة أعقبته نتائج أخرى من بينها تمدد الجماعة وتوسعها لإسقاط بقية المدن.

- لم يقتصر مجال الصراع بين الأغلبية وجيش الداعية أبا عبد الله الشيعي على بلاد كتامة فقط توسع الصراع نحو بلاد الزاب، والتي تم فيها الإجهاز على من تبقى من جنود وحاميات العرب والأغلبية.

- بعد إحكام سيطرة الداعية أبا عبد الله على الجهة الشرقية من بلاد المغرب الأوسط (كتامة- بلاد الزاب)، أصبح الطريق ممهدا نحو إفريقية وعاصمتها رقادة وبعد معارك هاشمية التقى جيشه مع من تبقى وتم حشدهم من طرف آخر أمير أغلب في منطقة الأربس والتي تم على إثرها الإجهاز على ما تبقى من قوات الأغلبية ليدخل الداعية مدينة القيروان ثم رقادة منهيا بذلك الصراع الشيعي الإسماعيلي- الأغلي والذي امتد من سنة 280-296هـ إلى غاية 893-909م، وكانت محصلته في الأخير قيام الخلافة الفاطمية سنة 296هـ/909م.

الحواشي :

¹ - تسمى هذه القبيلة بقبيلة كتامة نسبة إلى الجد الأكبر وهو كتام أو كتم والذي على حسب النسابة المسلمين هو ابن برنس بن مازنغ بن كنعان بن حام، ويلقب المنتمين إليها كذلك "بيني كتامة"، وهو ما يرجح أن هذه التركيبة الاجتماعية كانت قبيلة قائمة بذاتها، مع الزمن توسعت وأصبح لها بطون كثيرة ومتعددة، ودلالة اسم القبيلة وردت في أحد النصوص الإسماعيلية الخاصة بالقرن 4هـ/10م كاشتقاق من لفظ الكتمان (كتامة الكتمان)، غير أننا نفند هذا الربط، ونؤكد على أن القبيلة وتسميتها وفروعها كانت موجودة خلال عصر ما قبل الفتح الإسلامي وقد ذكر اسمها على النحو التالي (Ucutumani) أو (Ucutammi). لتفاصيل أكثر عن هذه القبيلة ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن



الأكبر، طبطط: خليل شحادة- مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص-ص: 195-200. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

² - أميل فيليكس غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010، ص: 182.

³ - يذكر القاضي النعمان أنه بعد دخول الداعية أبا عبد الله الشيعي إلى القيروان بدأ في تفريق قصورها ودورها على كتامة" فنزل بها جميع كتامة، ونزلوا أيضا بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حوله من الأبواب وحول رقادة" وكانوا من الكثرة لدرجة أن القاضي النعمان شبههم "بالجراد المنشر". ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تج: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص: 245-246.

⁴ - لتفاصيل أكثر عن دخول الفاطميين مصر، وتمصيرهم للقاهرة وانتقال الخليفة الرابع المعز لدين الله إليها، ودور المغاربة لاسيما من كتامة في أحداث حروب الشام والقرامطة. ينظر: تقي الدين المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، نش: أيمن فؤاد السيد، مج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2016، ص: 104-272.

⁵ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 197.

⁶ - تازروت: أو كما كانت تعرف بدار الهجرة تعد أحد أهم حواضر الجماعة الإسماعيلية ببلاد المغرب الأوسط مرحلة الدعوة، وتسميتها هي مدينة تازروت أو تاصورت كما عند صاحب سير الأئمة وأخبارهم، ومعناها في اللسان البربري "الصخرة الكبيرة"، وكانت في مرحلة الدعوة تقع في عمق مجالات قبيلة غشمان وهي حاليا تقع في أقصى شمال ولاية سطيف بمنطقة جبال البابور، وقد أكسب الداعي انتقاله إليها وتحويلها إلى دار هجرة استياء وحقد فروع كتامة المعارضة له والتي أعدت لحملة كبرى بغرض تدمير المدينة والقضاء على الدعوة إلا أن الجماعة الإسماعيلية الساكنة فيها والمتحصنة بها قد استطاعت الانتصار، هذا الأمر أدى إلى استقرار الداعي فيها لمدة حيث بنى فيها قصرا وأقطع لأنصاره للسكن فيها. ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، المصدر السابق، ص - ص: 86 - 110. أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تج: إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 165.

⁷ - الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تج - تق - تع: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 170.

⁸ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 195.

⁹ - عصر الولاة: يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب والأندلس أو المغرب الإسلامي كما يسمى أيضا على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ/ 705 - 715م) إلى قائده الفاتح موسى بن نصير (86 - 96هـ/ 705 - 715م) من بلاد المغرب والأندلس سنة 96هـ/ 715م حتى قيام الدول



- المستقلة عن السلطة المركزية دار الخلافة في هذه المنطقة، ينظر: عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى في عصر الولاية ببلاد المغرب والأندلس، دط، دار هومة، الجزائر، 2008، ص: 19.
- ¹⁰ - حسني قيطوني، بلاد قبائل الحضرة عبر التاريخ- موطن كتامة والحرب الاستعمارية-، تر: عز الدين بوكحيل، دار القصة للنشر، الجزائر، 2015، ص- ص: 56-57.
- ¹¹ - لتفاصيل أكثر عن الحركة الإسماعيلية ودورها خلال العصر الوسيط ينظر: فرهاد دفتري، الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية، تر: سيف الدين القصير، ط1، معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساق، بيروت، لبنان- لندن، بريطانيا، 2008. فرهاد دفتري، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، تر: سيف الدين القصير، ط2، معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساق، بيروت، لبنان- لندن، بريطانيا، 2014. مجاني بوبة، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي- الفكر والمؤسسات والعمران-، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2014.
- ¹² - القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2006، ص - ص: 413-414. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص- ص: 26-30.
- ¹³ - نفسه، ص: 111.
- ¹⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 195.
- ¹⁵ - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تج - ضبط - تع: بشار عواد معروف - محمود بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص: 169.
- ¹⁶ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 195-196.
- ¹⁷ - علي بن سعيد ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تج - تع: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1948، ص: 466.
- ¹⁸ - لتفاصيل أكثر عن التواجد العربي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الأولى من العصر الوسيط. ينظر: بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر- عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2010. مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة (23-296هـ/643-909م)، ج1، ط1، دار النشر المغربية، الدرا البيضاء، المغرب، 1986.
- ¹⁹ - أبو المهاجر دينار: هو أبو المهاجر دينار مولى الأنصار تولى فتح المغرب سنة 55هـ/675م وكانت ولايته سبع سنوات عزله عقبة بن نافع عام 62هـ ، وارتبط الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط بشخصه حيث افتتح ميلة وما بعدها ووصلت خيله إلى تلمسان، وأسلم في عهده كبير وزعيم البربر كسيلة، نqm عليه الفاتح عقبة بن نافع بحيث نكبه وسيره في ركابه موثوقا واستشهد معه في معركة تهودة سنة 63هـ/683م. ينظر عبد الرحمن ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تج: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، دت، ص - ص: 133-134.



- ²⁰ - إبراهيم بن الأغلب: هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ابن سالم التميمي أبو إسحاق، كبير أسرة الأغالبة ومؤسس إمارتهم ببلاد المغرب، كان فقيها عالما، أدبيا شاعرا وخطيبا، كثير الطلب للعلم، ذا رأي وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها، ولده الخليفة العباسي هارون الرشيد حكم بلاد الزاب ثم ولده علي إفريقية والتي استقل بها وتوارثها خلفاؤه من بعده ابتداء من سنة 184هـ/800م إلى غاية سنة 296هـ/909م تاريخ سقوطها على يد الفاطميين. ينظر: ابن الأبار القضاعي، الحلة السيرة في تراجم الشعراء من أعيان الأندلس والمغرب من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة، تح - تع: علي إبراهيم محمود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، ص - ص: 57-64.
- ²¹ - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص: 130.
- ²² - يذكر عبد الرحمان ابن خلدون أن غالبيتهم في زمانه رعايا معبدون للمغارم لكن يوجد منهم من " اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبلهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضا في جبالهم...". ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 196.
- ²³ - ميلة: من مدن الزاب بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، بينها وبين قسنطينة يوم واحد، وهي مسورة وبها أسواق وحمامات اتخذها الفاتح أبي المهاجر دينار قاعدة له لنشر الفتوح في بلاد المغرب وكانت خلال عصر الولاة تتبع السلطة الأغلبية في المغرب الأدنى وكان الاستيلاء عليها من طرف الداعي أبي عبد الله الشيعي أحد أهم النقاط التي حسمت الصراع مع الأغالبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1977، ص: 244.
- ²⁴ - لتفاصيل أكثر عن مدينة ميلة ودورها في تاريخ حضارة المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط. ينظر: عبد العزيز فيلاي- إبراهيم بحاز، مدينة ميلة في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، قسنطينة، الجزائر، 2017.
- ²⁵ - أحمد بن عمر ابن رسته، الأغلاق النفيسة، ج7، مطبعة بريل، ليدن، 1891، ص: 351.
- ²⁶ - أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص: 190.
- ²⁷ - نفسه، ص: 190.
- ²⁸ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 79. ذكره عبد الرحمان ابن خلدون بعلي بن جعفر ابن عسلوجة وأخوه أبو حبيب. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص: 45.
- ²⁹ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 166.
- ³⁰ - نفسه، ص: 165-166.
- ³¹ - لتفاصيل أكثر عن تاريخ منطقة جيجل في الفترة الوسيطة. ينظر: علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط3، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011، ص - ص: 82-111. حسني قيطوني، المرجع السابق، ص - ص: 52-69.



- ³² - يذكر عبيد الله البكري أن مدينة وهران بناها "محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسكين وهم من ازداجة...". ينظر: عبيد الله البكري، المسالك والممالك - الجزء الخاص ببلاد المغرب، - در - تج: زينب الهكاري- تق: أحمد عزاوي، السحب الرباط نت، الرباط، المغرب، 2012، ص: 164.
- ³³ - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص: 167.
- ³⁴ - نفسه، ص: 162.
- ³⁵ - نفسه، ص: 166.
- ³⁶ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 71.
- ³⁷ - إبراهيم بن أحمد بن الأغلب: هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب تولى الحكم بعد وفاة أخيه أبي الغرائق سنة 261هـ/875م افتتحت في عهده مدينة سرقوسة في 14 رمضان 264هـ/878م، وفي نفس السنة استقر بعاصمة ملكه الجديدة التي بناها وهي مدينة رقادة عرف بقسوته والشدة في معاملة أعداؤه وحتى أهل بيته عزل عن الحكم سنة 289هـ/902م ورحل إلى صقلية غازيا فمات بها في نفس السنة. ينظر: الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق - تج - تع: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دارالأفاق العربية، مصر، القاهرة، 2013، ص - ص: 117 - 119.
- ³⁸ - عن تفاصيل هذه المجزرة ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص: 166 - 167.
- ³⁹ - الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص: 118. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص: 167.
- ⁴⁰ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 98.
- ⁴¹ - نفسه، ص: 80.
- ⁴² - نفسه، ص: 112.
- ⁴³ - نفسه، ص: 114.
- ⁴⁴ - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 109.
- ⁴⁵ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 137.
- ⁴⁶ - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 110.
- ⁴⁷ - لتفاصيل أكثر عن الدعوة الشيعية الإسماعيلية في مجالات كتامة. ينظر: محمد بن عربة - إسماعيل سامعي، البيوتات العربية في المغرب الأوسط وإسهاماتها في الدعوة الإسماعيلية قبيل 296هـ/909م "البيت الحمدوني أنموذجا"، ع18، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2017، ص - ص: 176 - 194.
- ⁴⁸ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، السابق، ص - ص: 26 - 27.
- ⁴⁹ - نفسه، ص: 29.
- ⁵⁰ - أبا عبد الله الشيعي الصنعاني: أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، لا يعلم تاريخ ولادته، وكما أنه مختلف في مكان نشأته بين من ينسبه إلى الكوفة وهي النسبة الراجحة ومن بين هؤلاء القاضي



النعمان، وعلي بن ظافر، وبين من ينسبه إلى صنعاء باليمن كالوراق وابن الأثير، إلى أن نسبته الأخيرة إلى صنعاء هي الغالبة عليه، أشهر بالصنعاني كما أشهر بالمحتسب والمشرقي، كان صاحب علم وفهم وذكاء، تلقى علوم الدعوة من ابن حوشب في اليمن، زمن هناك بعثوه إلى أرض كتامة بالمغرب الأوسط لنشر الدعوة الإسماعيلية والتحضير لقيام دولة الفواطم، واستطاع أن يقضي على ملك: الأغالبة، وبني رستم، وبني مدرار، توفي مقتولا من طرف الخليفة عبيد الله المهدي سنة 298هـ/911م. ينظر: جمال الدين علي بن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة- القسم الخاص بالفاطميين- تق - تع: أندريه فريه، مج12، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة، مصر، 1972، ص: 06. عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر- تص: محمد يوسف الدقاق، مج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص- ص: 450 - 415. ينظر تقي الدين المقرئ، المقفى الكبير، تع: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص: 25. شمس الدين ابن حلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تع: إحسان عباس، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص: 192. ابن عداري المراكشي، ج1، المصدر السابق، ص: 168. علي حسني الخربوطي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر، 1972.

⁵¹ - محمد بن عربة، مجالس الدعوة الإسماعيلية ودورها في تأطير الحياة المذهبية والتعليمية في المجالات الكتامية، الملتقى الوطني 22 الموسوم بـ "المؤسسات الدينية والتعليمية بمنطقة قالة والشرق الجزائري عبر العصور"، قالة، الجزائر، 09-10 ماي، 2018. هانيس هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تع: سيف الدين القصير مرا: مجيد الرازي، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 1999.

⁵² - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 53.

⁵³ - نفسه، ص: 79.

⁵⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص: 43.

⁵⁵ - علي حسني الخربوطي، المرجع السابق، ص: 47.

⁵⁶ - محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/ 800-909م، تع: المنجي الصيادي - مر- تد: حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص: 707.

⁵⁷ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 190.

⁵⁸ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 146.

⁵⁹ - عبد العزيز فيلاي - إبراهيم بحاز، مدينة ميله في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص: 34.

⁶⁰ - عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر- تص: محمد يوسف الدقاق، مج6، ط1، دار الكتب لعلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص: 451.

⁶¹ - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 109. القاضي النعمان، افتتاح

الدعوة، المصدر السابق، ص: 136.

⁶² - عز الدين ابن الأثير، المصدر السابق، ص: 452.

⁶³ - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 109.



- 64 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 137.
- 65 - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص- ص: 109- 110.
- 66 - محمد الطالبي، المرجع السابق، ص: 711.
- 67 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 138.
- 68 - نفسه، ص: 140.
- 69 - نفسه، ص - ص: 144 - 145.
- 70 - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص- ص: 113- 114.
- 71 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 150.
- 72 - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص - ص: 179 - 180.
- 73 - اليعقوبي، المصدر السابق، ص : 190.
- 74 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص - ص: 165 - 166.
- 75 - نفسه، ص: 166
- 76 - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص- ص: 115.
- 77 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 167.
- 78 - عز الدين ابن الأثير، المصدر السابق، ص: 455. القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص:
- 168.
- 79 - ابن أبي الدينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1993، ص:
- 167.
- 80 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 169.
- 81 - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 117.
- 82 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 170. الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 117.
- 83 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 172.
- 84 - الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 120.
- 85 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 183.
- 86 - نفسه، المصدر السابق، ص: 183.
- 87 - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي - تاريخ دول الأغلبية والروستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين-، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993، ص: 568.
- 88 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 183.
- 89 - سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص: 568.
- 90 - القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 185



- ⁹¹ - نفسه، ص: 185.
- ⁹² - عز الدين ابن الأثير، المصدر السابق، ص: 457.
- ⁹³ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 211.
- ⁹⁴ - نفسه، ص: 211.
- ⁹⁵ - كان الجيش الذي قاده صولات بن القاسم السكتاني يبلغ خمسمائة فارس وكان معه من اهل تيفاش عبد الله بن كليب وهو شيعي قديم التشيع، وكان يعمل جاسوسا للدعاية الصنعاني يجمع له الأخبار في تلك النواحي، ومعه في الجيش اثنين من وجوه تيفاش وهما: "محمد بن زنبور وأبوزعل، وهذين هما اللذان ذلا الشيعي على أسرار المدينة ونواحيها وطلبا منه توجيه جيش نحوها. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص - ص: 211-212.
- ⁹⁶ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 212.
- ⁹⁷ - نفسه، ص: 213.
- ⁹⁸ - نفسه، ص: 214.
- ⁹⁹ - أوربة: من أكبر قبائل البربر وأكثرهم عددا وأشدّهم بأسا، وهم من ولد أورب بن برنس، وهم متفرقون في بطون كثيرة، وكان أميرهم عند بدء الفتوحات الإسلامية: سكرديد بن زوغي بن بارزت بن برزيات والذي أسلم ثم خلفه كسيلة بن ملزم والذي أسلم على يد الفاتح التابعي أبو المهاجر دينار، واستقر غاليهم فيما بعد بالمغرب الأقصى، وكانوا هم العصبية التي اعتمد عليها إدريس الأكبر لقيام دولته سنة 172هـ. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ج 6، المصدر السابق، ص: 192-195.
- ¹⁰⁰ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 215.
- ¹⁰¹ - لتفاصيل أكثر عن الحروب التي كانت تدار حول قسنطينة نهاية العصر الوسيط ينظر: محمد بن عربة، قسنطينة في ظل حروب وصراعات القرنين (7-9هـ/13-15م) وأثر ذلك على الحركة العمرانية، مداخلة أعمال الملتقى الوطني: الإنتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط، قسنطينة، 27-28 صفر/27-28 نوفمبر، 2016.
- ¹⁰² - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 2002، - ص: 36.
- ¹⁰³ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 170.
- ¹⁰⁴ - نفسه، ص: 171.
- ¹⁰⁵ - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص: 181.
- ¹⁰⁶ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 171.
- ¹⁰⁷ - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية عمرانية ثقافية)، المرجع السابق، ص: 36.
- ¹⁰⁸ - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص - ص: 172-178.



¹⁰⁹ - إختلف المؤرخون في تحديد أعداد القوات التي خاض بها الداعية أبا عبد الله الشيعي معركته الأخيرة للقضاء على إمارة الأغلبية، بحيث ذكر كل من القاضي النعمان وعبد الرحمان ابن خلدون والداعي إدريس القرشي أن تعداد هذا الجيش بلغ "مائتي ألف"، في حين يذكر تقي الدين المقرئ أنه بلغ "مئة ألف بين فارس وراجل"، وإن كنا نرى في هذا المقام بأن المصادر بالغت في تقدير وتضخيم هذا العدد إلى أننا نؤكد أنه اكبر تجمع قاده الداعية غداة انتهاء مرحلة الدعوة وقيام الدولة. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص: 227. عبد الرحمان ابن خلدون، ج 4، العبر، المصدر السابق، ص: 46. الداعي إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص: 131. تقي الدين المقرئ، ج 1، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص: 65.